يُعد الزواج من أقدم الأنظمة التي رتبها الله للإنسان حتى قبل ظهور الحكومات والمؤسسات وكافة الأنظمة الأخرى . فقد تأسس نظام الزواج يوم خلق الله الإنسان ذكراً وأنثى في الجنة ، فأبدع الله في خلقهما ثم كلفهما قائلاً :*" أثمروا وأكثروا واملأوا الأرض"* . لذلك فالمجتمعات التي تخلو من الزواج تُعد نادرة .

ولأن الله هو أول من شرع وأسس الزواج ، فيمكننا القول بأن الزواج عمل إلهي ، والأسرة مؤسسة الله ، وهي ملك له ، وحينما يدعو الله الإنسان للزواج ، فهو يريد أن يباركه ، فالزواج مصدر بركة ، أو يمكنه أن يكون كذلك للرجل والمرأة اللذين يدخلان فيه ، لأن البركة الحقيقية تأتي نتيجة طبيعية لإتمام مقاصد الله .

وفي الزواج يختبر الإنسان الحرية الحقيقية ، حيث تتحقق الحرية في الصيرورة وفقاً لإرادة الله ، والتمتع بالإمكانيات والنعم التي جاد بها على الإنسان ، ومنها الزواج ، وحين يكون روح الله هو السيد على حياتنا يصبح زواجنا مكاناً للحرية الحقيقية ، يقول الكتاب "*وحيث روح الرب هناك حرية" (2كورنثوس 3 : 17) .*

وفي تناولنا لموضوع الزواج في المسيحية حاولنا أن نقدم وجهة نظر مسيحية كتابية في الزواج ، ولأن هذا الموضوع مرتبط بموضوعات أخرى كالجنس وقيمة المرأة فكان من الضروري أيضاً أن نتطرق لهذه الموضوعات حتى نقدم دراسة كاملة وشاملة لكافة جوانب الموضوع .

لذا يجدر بنا ونحن ندرس الموقف المسيحي من الزواج والمرأة والجنس في ضوء المفاهيم الكتابية التي أوحى بها الله في كلمته المقدسة ، أن نبدأ بموقف المسيح من المرأة ، ثم التلاميذ والرسل ، وأخيراً سوف نتناول لقطات من تاريخ الكنيسة وموقفها من المرأة وصولاً لعصرنا الحالي .

أولاً : المرأة في فكر ومفهوم وتعاليم المسيح

يمكننا أن نلحظ بسهولة نظرة المسيح للمرأة ككيان متكامل ، جسداً ونفساً وروحاً .

ـ قدس المسيح المرأة في علاقته بالعذراء : لقد قدس المسيح المرأة ورفع شأنها حينما وُلد من القديسة العذراء مريم ، وعبر رحلة وخدمته الأرضية كرم المسيح أمه واهتم بها .

ـ عامل المسيح المرأة كإنسان كامل الإنسانية : ففي الوقت الذي اعتقد فيه اليهود أن أي حديث بين رجل وامرأة يحط من شأن الرجل ، ويقلل من قيمته ، وأنه لا ينبغي الحديث بين اليهود والسامريين ، ذهب المسيح إلى إمرأة سامرية وتحدث إليها ورد نفسها ، وحين رأى حزن الأرملة التي من قرية نايين على موت وحيدها تحنن عليها وأقام لها ابنها من الموت .

ـ حرر المسيح المرأة من سلطة الرجل وساوى بينهما : علم أنه لا طلاق إلا لعلة الزنا ، حتى في هذا السبب ساوى المسيح بين الرجل والمرأة ، ومع أن المرأة لم تكن معتادة ولا يحق لها بقوانين تلك المرحلة أن تُطلق زوجها ، لكن ما قصده المسيح هنا هو التساوي بين الرجل والمرأة ، والتأكيد على تلك المساواة .

ونستطيع أن نجد في تعاليم المسيح رداً على قضية معاصرة تتكرر أمامنا كل يوم ، ففي الوقت الذي كان الرجل اليهودي يلقي باللائمة على المرأة ، ويجبرها على لبس الحجاب أو النقاب حماية من الشهوة ، كان تعليم المسيح واضحاً : " *إن كل من ينظر إلى امرأة ليشتهيها فقد زنى بها في قلبه* " (متى 5 : 28) .

ـ منح المسيح للمرأة حق التعلم والتلمذة وقدّر إيمانها : لم تكن الشريعة اليهودية ، تسمح للمرأة إلا بالتواجد في الدار الخارجية للهيكل أو المعبد ، أو ما أطلق عليه " رواق النساء " ولم يكن يُسمح لها بحضور التعليم الديني ، لكن المسيح سمح للمرأة أن تحضر تعاليمه .

ـ قبل المسيح إنفاق المرأة على خدمته وتمويلها : كان قبول المسيح لمشاركة المرأة في تمويل خدمته ، ومرافقته في خدمته ، ثورة فكرية واجتماعية على المجتمع اليهودي وتقاليده وقتئذ .

ـ أعطى المسيح المرأة مسؤولية البشارة : منح المسيح للمرأة امتياز رؤيته الأولى بعد قيامته ، فقد كافأ المسيح مريم المجدلية لمحبتها وغيرتها وتقديرها لشخصه وعمله ، وذهابها فجراً لرؤية قبره وإذ وجدت القبر مفتوحاً جزعت وهرعت لتبلغ التلاميذ ، وبذلك تكون المرأة أول من حمل رسالة بشارة قيامة المسيح للتلاميذ ومن ثم العالم .

ثانياً : المرأة في فكر ومفهوم التلاميذ والرسل

من انعكاسات علاقة المسيح بتلاميذه ، لا يفاجئنا ما كتبه تلاميذ المسيح في الأناجيل ، وتقديرهم الواضح للمراة ، نرى البشير متى وهو يذكر سلسلة أنساب المسيح ، يسجل أسماء عدة شخصيات نسائية ، مثل : راحاب الزانية ، راعوث الموآبية ، وبثشبع المرأة التي اختطفها داود من زوجها أوريا ، وتزوجها وأنجب منها سليمان الملك ، وثامار بقصتها المخزية كما جاء في (تكوين 38) وعبر إنجيل متى نرى صورة المراة التي تعبر عن احترام وتقدير متى لها ، كما رأى وتعلم من المسيح .

وفي إنجيل لوقا نستطيع أن نجد التوازي بين الرجل والمرأة والمساواة بينهما تماماً ، فبشارة الملاك لزكريا (لوقا 1 : 11 ـ 20) يقابلها بشارة الملاك للعذراء (لوقا 1 : 68 ـ 79) ، وفي استقبال ميلاد الطفل يسوع نرى سمعان الشيخ (لوقا 2 : 25 ـ 35) وحنة النبية (لوقا 2 : 36 ـ 38) ، وفي شفاء المسيح للإنسان يوم السبت ، إعلاء لقيمة الإنسان ن يذكر لوقا أنه في يوم السبت شفى المسيح امرأة (لوقا 13 : 1 ـ 13) ، وشفى أيضاً رجلاً (لوقا 14 : 1 ـ 5) وهكذا نرى لوقا عبر إنجيله يساوي بين المرأة والرجل .

وإذا نظرنا إلى إنجيل يوحنا نراه يأتي بلقاء المسيح مع السامرية مباشرة بعد قصة لقائه بنيقوديموس وفي علاقة المسيح ببيت لعازر وأخواته ، نرى يوحنا يؤكد على علاقة المسيح المتحررة من عقدة الحديث عن رجل البيت ، بل كان يعطي لكل واحد دوره ، وكأنه يتحدث عن بيت مريم ومرثا ، وليس بيت لعازر .

أيضاً يؤكد إنجيل مرقس على هذه الرفعة والحظوة التي نالتها المرأة عند المسيح ، فيظهر كاتب الإنجيل كيف أن المسيح ساوى بين الرجل والمرأة ، فبعد شفائه لرجل به روح نجس ، نراه يشفي حماة سمعان بطرس (مرقس 1 : 29 - 31) ، كما أكد على إيمان المرأة حتى ولو كانت من خارج شعب إسرائيل في شفائه لابنة المرأة الكنعانية (مرقس 7 : 24 - 30) .

ثالثاً : المرأة في فكر بولس الرسول

في محاولة عرضنا لفكر الرسول بولس عن المرأة بصفة عامة ، سنحاول دراسة بعض القضايا التي تحمل ــ على ما يبدو ــ قدراً من التناقض ، حتى نستطيع تكوين صورة واضحة عن فكر بولس في هذا الأمر .

أن الموقف اللاهوتي الثابت للرسول بولس تجاه المرأة ، يؤكد أنه عاملها وقدرها كإنسان كامل في المسيح ، مساوية تماماً للرجل ، لها دورها الفاعل في خدمة إنجيل المسيح ، ومسؤوليات الخدمة .

هذا لا ينفي أن هناك بعض المواقف التي نجد فيها قدراً من التناقض الظاهري مع هذا الاتجاه الفكري اللاهوتي ، فحين يؤكد الرسول بولس على المساوة الكاملة بين الرجل والمرأة ، نراه يُعلم عن خضوع المرأة للرجل ، وفي الوقت الذي يقبل فيه المرأة خادمة ، مُصلية ، ولها الحق في أن تتنبأ في الكنيسة ، يعود وينادي بصمت النساء ، ووجوب تغطيتهن لشعر رؤوسهن ، وحين يعتبر العلاقة بين الرجل والمرأة في الزواج ، أمراً مقدساً ، يعود فينصح غير المتزوجين بعدم الزواج لذا علينا دراسة بعض تلك القضايا لتتضح أمامنا الصورة الكاملة لفكر الرسول بولس عن المرأة .

ولكن لا يفوتنا عند دراسة المقاطع الكتابية التي تبدو متعارضة مع الفكر اللاهوتي العام للرسول بولس ، أننا نجد أغلبها ينحصر في كنيستي كورنثوس وأفسس ، بما لهما من خلفيات تاريخية وظروف مجتمعية مختلفة ، حيث من المعروف أن هاتين المدينتين كانتا معقل العبادات الوثنية حتى أن معبد أفروديت آلهة الحب والجمال والخصوبة . بمدينة كورنثوس كان به ما يقارب الألف من كاهنات المعبد لممارسة الدعارة تعبداً لافروديت مما جعل المدينة بؤرة للفساد الجنسي باختلافاتها الثقافية والعرقية والدينية والاجتماعية ، كذلك تعدد الفلسفات من الأبيقورية إلى الرواقية والغنوسية والإسينية ، مما أثر على مفهوم الزواج ، وقضايا الزنى ، ومفهوم الحرية ، والنظرة للجسد ، واصطدم كل هذا مع الفكر المسيحي . كل هذا يجعلنا نفهم - ولو جزئياً - مصدر التناقض الظاهري في تعليم بولس ، الذي نعتبره إبداعاً يعبر عن تفاعل الإنجيل مع البيئة المحلية ، وكيفية تصدي رسالة الإنجيل لبعض القضايا التي تعبر عن الخصوصية الثقافية والفكرية والاجتماعية التي بالطبع سوف تنعكس على التفكير اللاهوتي ، كما يتضح لنا بجدارة عمومية المبادئ المسيحية ، وخصوصية التطبيق وفق البيئة ، والثقافة ، والحضارة التي تختلف من زمن إلى زمن ، ومن مكان إلى أخر . وتبين لنا ما هو عام ، وما هو خاص . وتوضح لنا العلاقة بين الثابت والمتغير ، وبين النص الديني والثقافة . من هذا المنطلق يمكن إلقاء الضوء على بعض القضايا ، مثل :

1)قضية الموساواة في مقابل الخضوع

إذ ساوى بولس بين الرجل والمرأة معتبراً أن الرجل ليس من دون المرأة ولا المرأة من دون الرجل وكما أن المرأة من الرجل ، كذلك الرجل هو بالمرأة ، أعاد الأمر إلى أن جميع الأشياء هي من الله الذي فيه خلق الكل ما في السماوات وما على الأرض (1 كورنثوس 11 : 11 - 12) .

لكن عندما يتناول الرسول بولس العلاقة بين الرجل والمرأة لا في إطارها اللاهوتي ، بل في إطارها العملي الأخلاقي ، يقول : "*ولكن أريد أن تعلموا أن رأس كل رجل هو المسيح . وأما رأس المرأة فهو الرجل . ورأس المسيح هو الله .. ولأن الرجل لم يُخلق من أجل المرأة بل المرأة من أجل الرجل* " (1 كورنثوس 11 : 3 ، 9) .ومن هنا نلاحظ عدة أمور :

الأمر الأول : يأتي هذا المقطع سابقاً لتأكيد بولس على أن "*الرجل ليس من دون المرأة ولا المرأة من دون الرجل في الرب . لأنه كما أن المرأة هي من الرجل هكذا الرجل أيضاً هو بالمرأة . ولكن جميع الأشياء هي من الله* " (1 كورنثوس 11 : 11 ، 12) .

الأمر الثاني : مع تأكيد بولس على الإقرار بالمبدأ اللاهوتي القائل بالمساواة بين الرجل والمرأة ، إلا أنه هنا يذكر الخلفية التاريخية لحدث الخليقة ، فآدم (الرجل) جُبل أولاً ، ومن ثم خُلقت منه حواء (المرأة) .

الأمر الثالث : الخلفية التاريخية التي يستند عليها بولس الرسول ، لا يعني تبعية المرأة للرجل كأمر مُطلق ، ولكن في إطار الشركة الروحية كما أن علاقة الرجل بالمسيح علاقة روحية .

إذاً فالأساس اللاهوتي في علاقة الرجل بالمرأة في فكر الرسول بولس ، هو المساواة في القيمة ، مع التمييز بين الدور الوظيفي الذي يقوم على الخضوع والحب المتبادل في إطار روحي وشركة متبادلة .

2)قضية دور المرأة في العبادة الجمهورية والخدمة ، في مقابل صمت النساء

تحدث بولس عن أهمية دور المرأة في الخدمة والعبادة ، حتى أنه لم يمانع في أن تصلي المرأة أو أن تتنبأ ، أثناء العبادة (1 كورنثوس 11 : 5) ، ولكنه يعود فيقول : "*لتتعلم المرأة بسكوت في خضوع ولكن لست آذن للمرأة أن تعلم ولا تتسلط على الرجل ، بل تكون في سكوت ، لأن آدم جُبل أولاً ثم حواء ، وآدم لم يُغو لكن المرأة أغويت فحصلت في التعدي* " (1 تيموثاوس 2 : 11 - 14)

والمشكلة هنا تأتي من الفهم الخاطئ وانتزاع النص الديني من القرينة والسياق اللاهوتي العام فيعتبر البعض أن الرسول بولس هنا يضع حدوداً للمرأة ، أو أنه يتراجع في تعليمه بحرية المرأة ودورها في العبادة والخدمة ، وأنه يعتبر أن المرأة أساس الغواية والسقوط في الخطيئة وليس لآدم دور في الغواية ، لكن بالرجوع لرسالة الرسول بولس إلى كنيسة رومية ، نجده يُبعد المرأة عن مشهد اختراق الخطيئة لبراءة الإنسان ، أو لسقوط الإنسان في الخطيئة .

أن الرسول وهو يوصي النساء بالصمت والتعلم بسكوت نجد في ذلك تاكيد على أهمية مبدأ وجود نظام في العبادة ، فإن الرسول بولس منع الرجال أيضاً من الكلام ودعاهم للصمت ، إذاً الهدف من صمت المرأة والرجل هو محاولة لتنظيم العبادة داخل الكنيسة .

رابعاً : المرأة في فكر الآباء والتاريخ الكنسي

مع خدمة التلاميذ والرسل امتدت الكنيسة شرقاً وغرباً ، وانفتحت على عوالم مختلفة من البشر والمجتمعات والفلسفات ، وانضم لعضويتها الآلاف من مختلف أطياف وجنسيات وأديان العالم المعروف آنذاك ، وقد تأثر فكر آباء الكنيسة بهذا التفاعل الفلسفي والمجتمعي والديني لأعضاء الكنيسة ، وفي ردة فعل واضحة لهذه التوجهات ، وفهم خاطئ لبعض النصوص الكتابية ، كان الحط من قدر المرأة هو التفكير السائد عند غالبية آباء الكنيسة الأولين .

فقد اعتقد الآباء اعتقاداً راسخاً أن المرأة هي المسؤولة عن دخول الخطية للعالم ، وأن دينونة الله التي صبها على الجنس البشري سببها ما فعلته حواء بالخضوع لإغواء الحية :

ـ لذلك اعتبر ترتليان النساء " أنهن بوابة الشيطان " .

ـ واعتقد أمبروز أن المرأة هي التي خدعت الرجل إذ قدمت له ما يجعله يخطئ إلى الله وبسببها تلقى عقوبة الموت .

ـ واعتقد يوحنا ذهبي الفم أن المرأة تمتعت فعلاً بالمساواة مع الرجل في الكرامة والسلطان ، لكن كان ذلك قبل أن تغوى رجلها ، فلقد مُنحت الفرصة للتساوي مع الرجل في الكرامة والسيادة والتعليم وقد فقدتها بإساءتها لهذه المساواة ، فقد علمت آدم مرة وإلى الأبد ، وعلمته تعليماً سيئاً ، فلا تعود وتعلم أو تتسلط على الرجل فيما بعد بل عليها أن تخضع وتطيع وتتعلم بسكوت في كل خضوع .

وفي ظل هذا الفكر والتعليم ، فقدت المرأة مكانتها التي خصها بها الله ، وفُسرت كل النصوص الكتابية بما يخدم ذلك الفكر ، وما كان أمام المرأة إلا مخرج وحيد هو التبتل والعذرية ، تلك التي كان يعتبرها الأباء طريق المرأة نحو استعادة مكانتها الأولى وحريتها التي فقدتها .

لكن من جهة أخرى فإن اكليمندس السكندري ، دافع عن الزواج وقيمة المرأة كشريكة في الخدمة والتبشير ، كما أنها في إطار الزواج يجب أن تحظى بمحبة زوجها ، وقد اعتبر اكليمندس أن المرأة يمكنها أن تصل إلى درجة الكمال كالرجل ، ويمكنها أن تصل لدرجة الشهادة والاستشهاد من أجل رسالة الإنجيل .

مما مر بنا ، يمكننا أن نرى بوضوح مدى التضارب واختلاف المواقف الفكرية للآباء نحو المرأة اعتماداً على تفسيراتهم الخاصة ببعض نصوص الكتاب المقدس ، وظروفهم المجتمعية وقد تغير الموقف من المرأة تدريجياً مع عصر الإصلاح في القرن السادس عشر .

ومع انتشار الحركات الإنسانية لحقوق الإنسان وحقوق المرأة ، أصبح للمرأة حق المطالبة بحقوقها على كافة المستويات الاجتماعية والدينية ، فقد شهد المجمع الفاتيكاني الثاني إقرار عقيدة كهنوت العلمانيين ، كما تطور دور المرأة في الكنيسة حالياً لتُصبح شيخاً مدبراً في بعض الكنائس المشيخية أو قساً معلماً أو حتى أسقفاً كما في بعض الكنائس والطوائف .

أما عن الجنس فنقول أن المسيحية تعتمد في تناولها لهذا الموضوع على الكتاب المقدس أساس إيمانها ، كما تستمد منه أيضاً المفاهيم التي تعتمد عليها في سلوكيات التعامل الحياتية ، ولكي نستطيع أن نتفهم ما تؤمن به المسيحية بهذا الشأن ، فلابد من أن ندرس ما يقوله الكتاب المقدس بعهديه ، ثم لنعرج قليلاً لدراسة مفهوم الجنس كما فهمته الكنيسة ، عبر تاريخها ما بين الخاطئ والصحيح وصولاً إلى السلوكيات المسيحية في ممارسة الجنس في الإطار الزوجي .

الكتاب المقدس والجنس

وتُستمد النظرة المسيحية للجنس مما جاء في سفر التكوين حيث نرى الإنسان مخلوقاً على صورة الله ، وأن الله اختار في خلقه للإنسان أن يكون ثنائي الجنس ، ذكراً وأنثى خلقهم ، وبعدما باركهم أوصاهم قائلاً : "*أثمروا وأكثروا واملأوا الأرض .. ورأى الله كل ما عمله فإذا هو حسن جداً* " (تكوين 1 : 28) ، إن الذكورة والأنوثة تدبير إلهي ليكون الإنسان جنسين متميزين ، يُكمل أحدهما الآخر ، ومن هنا ترى المسيحية أن الجنس مقدس وطاهر وهو غريزة أوجدها الله في الإنسان وهو وظيفة بيولوجية طبيعية ، ترتقي إلى أسمى صورها ومعانيها عند الإنسان ، فالرغبة الجنسية تدعو الإنسان إلى الارتباط والإتحاد فيبعد أو يقلل الشعور بالعزلة والوحدة ، ولقد كانت إرادة الله أن لا يبقى الرجل وحيداً وبالتالي لم يرد أن تبقى المرأة وحيدة فصنع الله حواء لتكون معينة لأدم ومن خلال هذه الثنائية وهذا الإتحاد اختبرامعجزة إنشاء حياة جديدة من خلال التكاثر ، وهي صورة من صور الخلود .

ومما لا شك فيه أن العلاقة الجنسية تحفظ النوع .. ولا شك أن الممارسة الجنسية هي أساس استمرار الجنس البشري ولكن حفظ النوع كان نتيجة للعلاقة الجنسية وليس هدفاً وحيداً لها . كما أن العلاقة الجنسية تربط الرجل بالمرأة فتتكون الأسرة ومن ثم يتكون المجتمع ، وارتباط رجل وامرأة بعلاقة جنسية هو في حد ذاته ارتباط شركة .

ومن أهم الأفكار التي تراود الكثيرين أن المتعة الجنسية شراً ، ولكن المتعة الجنسية ليست شراً بل إنها تدبير إلهي لسعادة الإنسان وسط ظروف الحياة وملابساتها المختلفة ، ويمكن أن نقول عن الجنس إنه كالطعام والمال يكون طاهراً متى كان استخدامه طاهراً ويكون شراً متى كان استخدامه شريراً ، إن الشر ينصب على طريقه الاستخدام أي أن الشر ناشئ عن استخدام البشر للجنس وليس في الجنس ذاته . إن المتعة متى كانت سليمة كانت روحية ، ومتى اتجهت للطريق الخاطئ فهي شريرة،والمتعة الجنسية تدبير إلهي يخرج الإنسان من وحدته ليعيش مع شريك يجد نفسه متحداً به .

الكتاب المقدس وأطر ممارسة الجنس

يُحدد الكتاب المقدس الأطر التي يجب أن يمارس الإنسان الجنس من خلالها ، فأول هذه الأطر أن تتم العلاقة الجنسية بين رجل وامرأة ، يجمعهما الزواج كإطار أساسي رسمه وسنه الله ، كما وضح خلال أسفار الشريعة الشروط التي يجب أن تتوافر في ارتباط رجل ما بامراة ما ، وقد حض على طهارة العلاقة الجنسية بين الزوجين وأية علاقة جنسية خارج إطار العلاقة الزوجية تعتبر " زنى " وهي خطيئة تستوجب العقاب .

ويتوسع المسيح في مفهوم الزنى ولا يقصره فقط على الممارسة الجنسية الفعلية بين رجل وامرأة خارج إطار الزواج ، بل يعتبر أن من نظر لإمرأة نظر اشتهاء فقد زنى بها في قلبه ، كما اعتبر

" إن من طلق امرأته إلا لعلة الزنى يجعلها تزنى ومن يتزوج مُطلقة فإنه يزني "

موقف الكتاب المقدس من الشذوذ الجنسي

يتخذ الكتاب المقدس موقفاً صارماً ممن لا يستطيع أن يضبط نفسه ويجنح لإشباع رغباته وغرائزه فكل من يفعل هذا يقع تحت طائلة العقاب الإلهي ، ومن يخرج بممارسة الجنس ويشذ عن الحدود والأطر التي وضعها الله ، فإنه يتعرض لدينونة الله ، وقد أدان العهد القديم هذه الممارسات .

الجنس في مفهوم الكنيسة

مع انتشار الكنيسة في العالمين اليوناني والروماني ، واحتكاك الكنيسة بالمعتقدات والممارسات والمجتمع اليوناني ، شغلا التساؤلات حول علاقة المسيحي بالجنس حيزاً كبيراً من الفكر المسيحي امتد عبر تاريخ الكنيسة .

ومع أن قضايا الجنس والزواج لم تناقش بصورة واسعة في فجر المسيحية ، لكن الكنيسة التي اعتقدت بالمجئ القريب للمسيح ، والتي تعاني من الاضطهاد ، اتخذت موقف الإعراض عن الجنس والزواج ، صحيح أنها لم تدن الزواج صراة لأن المسيح عد الزواج بركة وتخطيطاً إلهياً ، إلا أنها اعتبرت الزواج في درجة أدنى من التبتل والعذرية ، فكان التبتل اتجاهاً لمن يود أن يكون كاملاً .

وبعد انقسام الكنيسة إلى شرقية وغربية ، خضع رجال الدين في الكنيسة الغربية لعدم الزواج بالرغم من تأكيد المسيح على قدسية الزواج ، وأن بطرس كان متزوجاً ، وتعليمات بولس المتكررة بشأن الحياة والعلاقات بين الأزواج ، ومنهم الأساقفة ، والشيوخ والشمامسة .

أما الكنيسة الشرقية فقد كانت أكثر اعتدالاً ومرونة ، وقد سمحت لرجال الدين القساوسة بالزواج مرة واحدة ، حيث أنهم لا يستطيعون الزواج مرة أخرى بعد وفاة الزوجة ، أو بعد دخولهم التكريس للخدمة الدينية ، وإذا ما أصبح القس مطراناً ، فإن زوجته ملزمة بالتحول إلى الرهبنة .

أما في العصر الحديث فقد أسهمت عدة عوامل في الفهم الجديد للجنس ، وقد أصدرت مجالس الكنائس بصورة منفردة أو جماعية الكثير من البيانات الرسمية عن المسائل الجنسية ، وتم التأكيد على القيمة الشخصية للاتصال الجنسي وأدينت أي إشارة لإدانته ، أو اعتباره شراً ، وفي عام

1974 م ، اعتبر النشاط الجنسي موجهاً للكثير من جوانب الشخصية الإنسانية أكثر من انحصاره في إطار العلاقة الجنسية .

أفكار خاطئة حول الجنس

ـ هناك من اعتبر أن الجنس كان نتيجة لسقوط الإنسان في الخطية ، أو أن ممارسة الجنس بين آدم وحواء هو الخطية التي استحقا عليها العقاب والطرد من الجنة ، كما أعتبر البعض أن الاستمتاع بالعملية الجنسية في الزواج شر ، وأن الهدف الوحيد للزواج هو إنجاب الأطفال لاستمرار النوع الإنساني أو مجرد الصيانة من شر الجنس .

ـ الاتجاه الجسدني أو المادي ويتبنى أصحاب هذا الفكر الاعتقاد بأن الإنسان أساساً حيوان إلا انه حيوان أكثر رقياً والحب لديه هو رغبة جنسية ، وهذا أمر طبيعي مثل الجوع والعطش ومتطلبات الصحة يجب إشباعه بطريقة أو أخرى ، بشرط عدم الإفراط فيه لان هذا أيضاً ضار بالصحة الجسدية والنفسية .

ـ الأعتقاد أن العلاقة الجنسية بين آدم وحواء بدأت بعد السقوط ، أو أن العلاقة الجنسية هي الخطأ الذي وقع فيه الإنسان الأول وسبب طرده من الجنة ، أو أن الجنس كان عقاباً للإنسان على خطيئته وعدم طاعته لوصية الله ، أو أن المتعة والنشوة التي يتمتع بها الإنسان عند ممارسة العلاقة الجنسية لم تكن في قصد الله ، بل نقول أن آلام الحمل ووجع الولادة ، ولعنة الأرض وكدح آدم وعرق جبينه وطرد الإنسان من الجنة ، هو العقاب على عدم طاعة الإنسان لوصية الله ، وليس ممارسة الجنس ، وعلى ذلك فإن ممارسة الحب والتناسل كانت متاحة ومستمتعاً بها عندما كان الإنسان في حالته الأصلية من البراءة والنقاء .

سلوكيات مسيحية في ممارسة الجنس

ـ إن الجنس يجب أن يمارس بقداسة وكرامة : كتب الرسول بولس للمؤمنين في تسالونيكي قائلاً : "*لأن هذه هي إرادة الله : قداستكم أن تمتنعوا عن الزنا ، أن يعرف كل واحد منكم أن يقتني إناءه بقداسة وكرامة ، لا في هوى شهوة كالأمم الذين لا يعرفون الله* " . وعلى هذا فإن الله يوصي الأزواج أن يقتني كل واحد إناءه ـ أي زوجته ـ بقداسة وكرامة لا في هوى شهوة كالأمم الذين لا يعرفون الله .. وهذا الأمر الإلهي الصريح يقطع الطريق تماماً أمام ممارسة الشذوذ الجنسي مع الزوجة .

ـ يجب أن يُمارس الجنس بالموافقة المتبادلة بين الزوجين : أن المرأة ليست مجرد شئ بل هي شخص ليست مجرد وسيلة لإشباع الدافع الجنسي بل هي شريكة في الاستمتاع بالجنس ، ولذا فممارسة الجنس في الحياة الزوجية يجب أن تخلو تماماً من العنف والإرغام والضغط وأن تكون بالموافقة المتبادلة بين الزوجين ، وأن تتميز بالصراحة الواضحة بينهما فيما يتعلق بما يزيد استمتاعهما معاً بهذه العلاقة الرقيقة ، وحق الرجل على المرأة هو الاستجابة المسرورة لعاطفته الفياضة بالحب نحوها ، هذه الاستجابة التي تظهر في خضوعها وطاعتها له .

ـ يجب على الزوجين أن يتفقا على فترات محددة يمتنعان فيها عن ممارسة الجنس ويتفرغان للصلاة والصوم : إن فترات الامتناع عن العلاقة الجنسية باتفاق الزوجين ، ستزيد من استمتاعهما بهذه العلاقة ، ذلك لأن الإغراق في الجنس حتى في دائرة الزواج يؤدي إلى تدهور العلاقة بين الزوجين ، ولكن الجدير بالأشارة هو أنه ليس الامتناع عن ممارسة الجنس في أوقات الصوم والصلاة لكون هذه الممارسة جسدية أو غير روحية .

أما عن الزواج في المسيحية فنقول أن الفكر المسيحي في نظرته للزواج يتأسس على الفكر الكتابي والنظرة اللاهوتية والرؤية المجتمعية والتشريعات الوضعية ، فيجدر بنا أن نستعرض بعض تلك المفاهيم المسيحية التي تناقش فكرة الزواج ، ومنها :

الزواج المسيحي في المفهوم الكتابي

إن القاعدة في الفكر المسيحي هي الزواج ، وعدم الزواج هو الاستثناء وقد كان عدم الزواج مرفوضاً ومنبوذاً في اليهودية حيث يحقق الزواج قصد الله للإنسان ، وخطته للبشرية جمعاء .

من هذا المنطلق ترى المسيحية أن الزواج لابد وأن يحقق الرؤية الكتابية ، حيث يقول الكتاب المقدس : لذلك "*يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته ويكونان جسداً واحداً* " ولأهمية هذه الفكرة فقد تكررت هذه الكلمات عبر الكتاب المقدس أربع مرات (تكوين 2 : 24 ، متى 19 : 5 ، مرقس 10 : 7 ، أفسس 5 : 31) ، ومن هذه الكلمات الكتابية تأتي الصورة الصحيحة للزواج في المفهوم المسيحي ، حيث لابد لأي زواج أن يحقق الأفعال الثلاثة المذكورة في هذه الآيات ، وهي الترك ، ثم الالتصاق ، وأخيراً الوحدة الكاملة .

وعلى هذا الأساس نقول أن الزواج في مفهوم الكتاب المقدس هو :

ـ الزواج خطة وقصد الله للإنسان .

ـ الزواج مقدس وشريف وطاهر .

ـ الزواج لا العزوبة هو الأساس .

ـ الزواج وُجد ليبقى .

ـ الزواج هو بين رجل واحد وامرأة واحدة .

الزواج المسيحي في المفهوم اللاهوتي " عهد الزواج "

الزواج في المسيحية هو عهد ارتباط بين رجل واحد وامرأة واحدة ، والله نفسه هو الشاهد على هذا العهد ، ومن جهة أخرى فإن الرجل والمرأة اللذان دخلا معاً في عهد الزواج ، يكونان طرفاً في علاقة عهد مع الله ، فالله في المسيحية شاهد على عهد الزواج ، وفي ذات الوقت طرف فيه .

لذلك يخطئ من يظن أن الزواج المسيحي فرض ، أو عقد فكلاهما دون فكرة العهد الذي يقوم عليه الزواج المسيحي فالفرض يمكن للإنسان أن يتحرر منه ، أو على الأقل يقبل به مضطراً ، وهكذا العقد يمكن لأي من الطرفين فسخه ساعة يشاء فالعقد دائماً يقوم على مبدأ الشرطية " أحبك ، إن أحببتني " ، " أخلص لك ، مادمت مخلصاً لي " أقدم لك حاجتك الجنسية ، إن صارحتني أو قدمت لي ... " .

يتميز العهد الزوجي بأنه علاقة ارتباط تقوم على أساس الإخلاص والتكريس والمحبة الثابتة كما أن محور العهد ، أيضاً نرى في العلاقة المبنية على العهد حرية الاختيار ، فليس في الزواج المسيحي المنطلق من فكرة العهد أي إرغام أو إجبار ، ولا يتولى أحد ولاية على أحد بل أن نموذج علاقتنا بالله في إطار العهد لا يرغمنا على ممارسة الولاء والطاعة ، لكنه يترك لنا الحرية كاملة لطاعته وهكذا في الزواج المسيحي لا يجوز لطرف إرغام الطرف الآخر على السلوك أو التفكير بطريقة معينة ، ولا يمكن أن يستغل الزواج في إخضاع طرف لآخر ، فالخضوع يقدم طوعاً لا بالقوة ، والخضوع الحقيقي ينتج من الاحترام لا من الخوف والمراوغة .

الزواج المسيحي في المفهوم التشريعي للطوائف المسيحية المختلفة

لقد جاء التعريف القانوني والتشريعي للزواج المسيحي بصفة عامة على أنه " اقتران رجل واحد بامرأة واحدة اقتراناً شرعياً مدى حياة الزوجين " وقد اختلفت التشريعات القانونية المسيحية فيما بينها في بعض التفاصيل الشكلية ـ فقط ـ للزواج سواء من جهة المسميات أو الفكر اللاهوتي وبعض تلك الأمور التي تخص المراسيم أو طقوس الزفاف ذاته .

ونحن هنا لسنا بصدد دراسة أو تقديم تشريع كل طائفة بشأن أمر الزواج ، لكننا سنعرض بعضاً من هذه الشرائع فقط .

<u>أولاً : الزواج في شريعة الأقباط الأرثوذكسي</u>

تنص المادة الخامسة عشر على أن"الزواج سر مقدس يثبت بعقد يرتبط به رجل وامرأة ارتباطاً علياً طبقاً لطقوس الكنيسة القبطية الأرثوذكسية بقصد تكوين أسرة جديدة والتعاون على شئون الحياة" .
وتحدد المادة السادسة عشر ، أنه " لا يجوز زواج الرجل قبل بلوغه ثماني عشرة سنة ميلادية كاملة ولا زواج المرأة قبل بلوغها ستة عشرة سنة ميلادية كاملة " . وطبقاً للمادة التاسعة عشر فإنه " يجوز لمن بلغ سنه إحدى وعشرين سنة ميلادية كاملة رجلا كان أو امرأة أن يزوج نفسه بنفسه " ومن موانع الزواج وفقاً للشرائع الأرثوذكسية وفقاً للائحة 1938 م ، ووفقاً للقانون المعتمد للمجلس الملي المعتمد في عام 1991 م ، يمتنع الزواج أرثوذكسياً في حالات الآتية ، وطبقاً للمواد من 21 إلى 28 . تمنع القرابة من الزواج :

* بالأصول وإن علوا والفروع وإن سفلوا .
* بالأخوة والأخوات ونسلهم .

*بالأعمام والعمات والأخوال والخالات دون نسلهم .

ثانياً : الزواج في شريعة الأقباط الكاثوليك

تستند شريعة الأقباط الكاثوليك إلى القانون الصادر من البابا يوحنا بولس الثاني بابا الفاتيكان في 18 أكتوبر 1990 م ، وهي تطبق على الطوائف الكاثوليكية الشرقية بما في ذلك مصر . وتصل نصوص هذه المجموعة إلى واحد وتسعين مادة تختص بالأحوال الشخصية ، نقتبس من هذه المواد ما يخص موضوع الزواج ، فالمادة 776 بند رقم 3 : تتحدث عن الزواج وتنص على " للزواج خاصيتان جوهريتان : الوحدة وعدم الانحلال " . وتنص المادة (813) على تحريم " الزواج بدون سابق ترخيص من السلطات المختصة بين شخصين معمدين أحدهما كاثوليكي والآخر غير كاثوليكي " .

ويعتبر الزواج عند الكاثوليك سراً إلهياً ، ولا يمكن أن يقوم إلا بين رجل واحد وامرأة واحدة ، لكن أهم ما يميز الزواج عند الكاثوليك إنه نظام أبدي ، لا يقبل الانفصال مهما كانت الأسباب ، حتى في حالة وقوع الزنى ، لكن تجدر الإشارة إلى أن المادة (817) تعتبر المتنفس والمخرج الوحيد الذي تستخدمه هذه الطائفة للطلاق .

ثالثاً : الزواج في شريعة الأقباط الإنجيليين

يتميز الإنجيليون بأنهم لا يعترفون بمصدر للتشريع الديني غير الكتاب المقدس . ويشتمل قانون الأحوال الشخصية للطائفة الإنجيلية بمصر على مئة وسبع مواد . تُحدد المادة العاشرة سن الأهلية للزواج ، فتنص على أن : " لا يجوز أن يعقد زواج الشاب إلا إذا بلغ من العمر ست عشرة سنة على الأقل ، والصبية أربع عشرة سنة على الأقل " ، على أن هذه تم تعديلها في 10 ديسمبر 1930 بحيث لا يقل عمر الشاب عن ثماني عشرة سنة كاملة ميلادية ، والصبية لا تقل عن ست عشرة سنة كاملة ميلادية ، والبية لا تقل عن ست عشرة سنة كاملة ميلادية " ، وفي عام 2008 م ، تم تعديل السن المؤهل للزواج عند الفتاة ، ليصبح ثماني عشر سنة كاملة ويتساوى في ذلك مع سن الشباب ، وذلك طبقاً للقانون رقم (126) لسنة 2008 م ، وفي المادة السابعة من قانون الأحوال الشخصية للطائفة الإنجيلية تسعة وعشرون مانعاً للزواج ، من درجات القربى المحرمة للزواج .

الموقف المسيحي من الزواج العرفي

الشرائع المسيحية لا يوجد فيها هذا النوع من الزواج وهو الزواج العرفي ، لأن الزواج في المسيحية ليس مجرد عقد أو اتفاق يبرم بين رجل وامرأة يريدان العيش معاً ، وأن يشارك كل منهما الآخر . بل هو رباط مقدس يجمعهما معاً في واحد على الرغم من تمايزهما ، ويتم بمراسيم دينية ، لهذا لا وجود للزواج العرفي في المسيحية لأن الزواج في المسيحية يعني الثبات والاستمرار ، وهذان الشرطان لا يتوافران في الزواج العرفي ، بالإضافة إلى أنه زواج غير موثق ومن ثم فإن الكنيسة لا تعترف به ، ويدخل الزواج العرفي تحت مظلة العلاقات غير الشرعية .

الزواج في مشروع القانون الموحد

تنص المادة الثالثة عشر من مشروع القانون الموحد (1998) على أن " الزواج المسيحي رباط ديني مقدس دائم ، ويتم علناً ، بين رجل واحد وامرأة واحدة ، مسيحيين ، صالحين للزواج لتكوين أسرة تتعاون على شئون الحياة في معيشة واحدة .

كما تنص المادة الرابعة عشر على أنه : " لا ينعقد الزواج صحيحاً إلا إذا تم بمراسيم دينية على يد رجل دين مسيحي مختص ، ومصرح له من رئاسته الدينية " . أما المادة الخامسة عشر فتؤكد في نصها على أهمية رضاء الطرفين : " لا ينعقد الزواج إلا برضاء الزوجين " .

اختيار شريك الحياة

لكل شخص قيم معينة يقدرها ويعتنقها ويسعى إلى تحقيقها في حياته مثل : العلم ، المال ، الإيمان ، الأمانة ، الصدق ... . وكلما اتفق الشريكان على ترتيب الأولويات في هذه القيم ، أدى ذلك إلى اتفاقهما وسعادتهما وشعورهما بوحدة الهدف .

توجد بعض المقاييس التي تساعد في اختيار شريك الحياة ، هذه المقاييس منها الداخلي ومنها الخارجي ، ويمكن أن نحدد هذه المقاييس الداخلية كما يلي :

* حد أدنى من التعاطف والتجاذب النفسي والعاطفي .

* حد أدنى من التناسب في الميول والطباع .

* حد أدنى من التناسب الروحي .

* حد أدنى من الاتفاق على قيم أخلاقية أساسية .

* حد أدنى من الاتفاق على أهداف مشتركة في الحياة .

كذلك يمكن أن نحدد مقابل هذه المقاييس الداخلية ، مقاييس خارجية يُهتدى بها أيضاً كما يلي :

* التناسب في العمر .

* التناسب في المستوى الثقافي والتعليمي .

* التناسب في المستوى الاجتماعي .

* التناسب في المستوى الاقتصادي .

بعد أن يتم اختيار العروس ، يتم الانتقال للخطوة التالية وهي الخطبة .

الخطبة

في تعريف كتابي للخطبة : هي الزواج في الكتاب المقدس وليست مقدمة للزواج ، ولا بعدها عقد أو عهد آخر هو الزواج .. هي الإجراء الرسمي الوحيد للزواج ولا شئ غيرة إلا احتفال العرس وهو حفلة عشاء .

وتزداد أخمية فترة الخطوبة خاصة في مجتمعاتنا الشرقية ، نظراً لعدم وجود مفهوم التعارف خارج إطار الخطوبة ، كما تعتبر الخطوبة فترة النضوج الذهني وتأهيل الذات للارتباط وتحمل مسؤولية الزواج .

هل من مهر في المسيحية ؟

لا يوجد في المسيحية ما يُسمى بالمهر ، ولم يأت ذكر المهر في أي من اللوائح المنظمة للزواج في الطوائف المسيحية ، إلا على استحياء في لائحة 1938 للأقباط الأرثوذكس ، لكن في بقية اللوائح لا يوجد إلا بما يُسمى هدايا .

مراسيم الزفاف في المسيحية

يطلق على مراسيم الزواج في المسيحية العديد من الأسماء ، منها : طقس صلاة الإكليل ، خدمة الزواج ، حفل الزفاف ، لكن جميع الكنائس والطوائف المسيحية تشترك في اعتبار هذه المراسيم والطقوس جزءاً أصيلاً من العبادة المسيحية ، لها قدسيتها الخاصة ، حيث يدخلان العروسان في عهدٍ هو من جهة عهد بعضهما لبعض ، ومن الجهة الأخرى يدخلون معاً في عهد مع الله ذاته ، كل هذا على مرأى ومسمع من الحضور سواء من الأسرتين أو الأصدقاء .

موقف المسيحية من تعدد الزوجات والزوجة الواحدة

تُعلم المسيحية وبكل وضوح مستندة على الكتاب المقدس الذي هو كلمة الله : " أن الزواج هو ارتباط وعقد مقدس بين رجل واحد وامراة واحدة مدى الحياة ، وأن ما جمعه الله لا يفرقه إنسان " والمبدأ العام الذي تقره المسيحية بهذا الشأن هو : واحدية الزواج ، أي رجلاً واحداً لامرأة واحدة ، وامرأة واحدة لرجل واحد ، لأنه هكذا أراد الله منذ البدء ، خلق رجل واحد وامرأة واحدة ، ولو أراد تعددية من أية نوع لكان في استطاعته أن يخلق أكثر من رجل لامرأة واحدة أو أكثر من امرأة لرجل واحد .

وربما يتساءل البعض وما هو موقف الكتاب المقدس من هذه القضية ؟ حيث نقرأ أن بعض رجال الله في العهد القديم تحديداً قد تزوجوا بأكثر من واحدة ؟ وهل لم يتغير موقف الكنيسة عبر عصورها وظروفها المختلفة ؟

موقف الكتاب المقدس من تعدد الزوجات

كان قصد الله منذ البدء وقبل السقوط في الخطيئة ، رجل واحد وامرأة واحدة ، لكن بعد السقوط وتيهان الإنسان وزيغانه عن قصد الله وخطته ، عرف الإنسان تعدد الزوجات ، ومن الدراسة للعهد

القديم نجد ان تعدد الزوجات لم يكن الأمر الشائع في الزواج ، ولكنه كان مقصوراً على البعض ولأسباب اجتماعية ، كالذرية والحاجة لمزيد من الأبناء ، ودينية ، كالرغبة في زيادة شعب الرب وتأكيداً لوعده لإبراهيم بأن نسله سيكون كالنجوم من الكثرة ، ورغبة من الرجال أن يأتي المسيح من نسله ورغبة من النساء في أن يأتي المخلص من أحشاء واحدة منهن ، وسياسية ، كالزيجات التي ارتبط بها داود وسليمان . لكن تعدد الزوجات بدأ يختفي تدريجياً بعد العودة من السبي .

الموقف التاريخي الكنسي من تعدد الزوجات

لقد سجل آباء الكنيسة آراءهم وإيمانهم بحقيقة واحدية الزوج وواحدية الزوجة ، ففي عصر الإصلاح كان المبدأ العام هو الزواج بواحدة فقط ، ولقد أعتقد المُصلح جون كالفن مؤسس الكنيسة الإنجيلية المشيخية أن تعدد الزوجات أمراً مناقضاً للسنة الإلهية بوحدانية الزواج ، وقد اعتبر أن الآباء العبرانيين كانوا مخطئين عندما تزوجوا بأكثر من زوجة ، إن مبدأ وحدانية الزواج هو المبدأ الوحيد الذي يحقق أهدافه كاملة ويُقيم بين الزوجين تضامناً تاماً ومساواة أساسية ، للمرأة الحق فيها كالرجال سواء بسواء وهو المبدأ الذي في ظله يمكن أن يكون للزوجين أسرة حقيقية .

هل من طلاق في الزواج المسيحي ؟

إذاً لا طلاق في الزواج المسيحي الذي يقوم على فكرة العهد ، والذي يجمع بين اثنين من أبناء الله ، ومع أن هذا هو المبدأ العام للموقف المسيحي ، لكن بدراسة متأنية للوائح التشريعية للمذاهب المسيحية ، يمكننا أن نرى ثلاث مدارس فكرية تتعامل مع هذه القضية وتخرج كل منها بنتيجة مختلفة عن الأخريين ، وكل مدرسة فكرية تعتمد على دراسة كتابية تستند عليها ، لذا فلكل رأي مؤيديه :

ـ الرأي التقليدي الشائع : لا طلاق إلا لعلة الزنى .

تعتنق هذا الرأي الكنيسة الأرثوذكسية ، والكنيسة البروتستانتيه ، باختلاف طوائفها ومذاهبها ، لذا يمثل هذا الرأي الغالبية من المسيحيين في العالم ، ويعتمدون على ما جاء في حديث السيد المسيح عندما جاءه الفريسيون ليجربوه فسألوه قائلين له : " *هل يحل للرجل أن يطلق امرأته لكل سببٍ* ؟ " فأجاب : "*أما قرأتم أن الذي خلق من البدء خلقهما ذكراً وأنثى* ؟ " . وقال : "*من أجل هذا يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته ويكون الاثنان جسداً واحداً . إذاً ليس بعد اثنين بل جسد واحد . فالذي جمعه الله لا يفرقه إنسان* " . فسألوه : "*فلماذا أوصى موسى أن يُعطى كتاب طلاق فتُطلق* ؟" قال لهم : "*إن موسى من أجل قساوة قلوبهم أذن لكم أن تَطلقوا نساءكم ولكن من البدء لم يكن هكذا وأقول لكم : إن من طلق امرأته إلا بسبب الزنا وتزوج بأخرى يزني والذي يتزوج بمطلقة يزني* " (متى 19 : 3 - 9) .

ـ الرأي المحافظ : لا طلاق حتى في وجود علة الزنى .

يعتنق هذا الرأي الكنيسة الكاثوليكية باختلاف طوائفها ، وتعتمد في إيمانها بعدم جواز الطلاق حتى في حالة ثبوت الزنى لأحد الزوجين ، ولوكان المسيح قد حلل الطلاق لعلة زنى أحد الزوجين ، لكان موقفه هنا حثاً للناس على الزنى ، هروباً من صعوبة الحياة الزوجية . ولكان الطلاق مكافأة السيد المسيح للزاني على زناه ، كي يتزوج من يريد . وحاشي للسيد المسيح أن يحث الناس على أمر كهذا .

ـ الرأي العصري : الطلاق في حالات خاصة نوع من الرحمة .

يتفق أصحاب هذا الرأي مع القول بعدم إمكانية الطلاق في الزواج المسيحي ، وهم يعتبرون أن الزواج المسيحي المبني على أساس الإيمان المسيحي ، وفهم المبادئ الكتابية الصحيحة ، لا يجوز ولا يمكن لأحد أن يفكر ـ في حالته ـ في إمكانية الطلاق ، لكن تبقى عبارة " الزواج المسيحي " هي لب الموضوع عند أصحاب هذا الرأي ، فهم يتساءلون : هل كل زواج كنسي يمكن أن يسمى زواجاً مسيحياً بالمعنى الكتابي ؟ أو هل كل زواج يدين طرفاه بالمسيحية يمكن أن يصل لمعنى الزواج المسيحي الذي تنطبق عليه كلمات وتعاليم المسيح ؟

الموقف المسيحي من الزواج المختلط

لأن الزواج المختلط أصبح واقعاً مفروضاً على مجتمعات اليوم ، وخاصة مجتمعاتنا بخصوصيتها الشرقية ، وتنوعها الديني والعرقي والمذهبي ، يبقى السؤال الذي يطرح نفسه : هل يعتبر الزواج المختلط تمازجاً ثقافياً يربط بين الشعوب ويقوي أواصر العلاقات الإنسانية ؟ أم أن الزواج المختلط سبب رئيسي في زعزعة أساسات المجتمع ، وإشعال نيران الفتنة الطائفية ، والمذهبية ؟ .

والواضح أن الزواج المختلط بين مختلفي الدين والمذهب والجنسية إشكالية حقيقية ، ولا يمكننا سوى أن نعترف بأن الزواج المختلط خاصة بين مختلفي الدين والجنسية لا يزال يعتبر مصدراً لإشكاليات تتباين تأثيراتها باختلاف المجتمعات وتركيباتها العرقية والقانونية والمجتمعية .

الكتاب المقدس والزواج المختلط

لقد كتب الكتاب المقدس الكثير عن الزواج المختلط ، وبالرغم من وجود حالات زواج ناجحة ، إلا أن السمة الغالبة أن الزواج المختلط ـ وتحديداً ذلك الذي كان يقوم على الاختلاف الديني ـ كان غير مرغوب فيه ، لا على مستوى الشريعة ، ولا على مستوى الخبرة البشرية ، فقد حذر الله شعبه من الزواج المختلط .

وحين كتب الرسول بولس في رسالته الأولى لكنيسة كورنثوس : "*لأن الرجل غير المؤمن مقدس في المرأة والمرأة غير المؤمنة مقدسة في الرجل* " (1كورنثوس 7 : 14) ، لم يكن يتكلم عن رجل يريد أن يتزوج من امرأة غير مومنة ، أي غير مسيحية ، أو امرأة مسيحية تريد أن تتزوج من رجل غير مسيحي ، بل كان يتكلم عن رجل وامرأة غير مسيحيين تزوجا قبل الإيمان ثم آمن أحد الطرفين فما هو الحل هل يترك أحدهما الأخر ؟ إن الزواج بغير المؤمنين هو شر عظيم وخيانة

ضد الله أما الزواج الذي بحسب مشيئة الرب سيرضى عنه كل الأطراف ، والدا الزوج ووالدا الزوجة .

هل يمكن للزواج المسيحي أن يعود مدنياً لا كنسياً ؟

في الواقع لم يضع المسيح تشريعاً واحداً ولم يدخل في تفصيلات قانونية بل ترك للقانون المدني الروماني والشريعة اليهودية أن ينظما حياة البشر ، حتى عندما جاء شخص إلى المسيح وشكا إليه قائلاً : " *يا معلم قل لأخي أن يقاسمني الميراث* " لم يعطه المسيح أية تفصيلات أو تعاليم أو تشريعات عن "فقه" الإرث أو أصوله أو أسبابه ولم يقل له ما هو نصيب كل وريث إن كان ذكراً أو أنثى ، ولكنه وضع المبدأ محذراً فقط من الطمع ومن محبة المال ، حينما قال : " يا إنسان من أقامني عليكما قاضياً أو مقسماً ؟ " وترك هذا الرجل وأخاه يتقاسمان الميراث طبقاً للقانون الروماني المدني والشريعة اليهودية ، وبهذا يمكننا أن نتفهم لماذا لم يقم المسيح بأية إجراءات زواج خلال خدمه التي ناهزت الثلاث سنوات ، كما أن تلاميذه أيضاً لم يذكر الكتاب المقدس أنهم قاموا بإجراء أية مراسم زواج ، بل تعلموا من معلمهم أن رسالتهم بالأساس روحية ، أما التنظيمات المدنية والاجتماعية لها قوانينها التي تحكمها وتنظمها .

ومرة أخرى علينا العودة لدراسة أمر الزواج كتابياً ، لكن من وجهة نظر قانونية وتاريخية وإنسانية

الزواج في الكتاب المقدس والتاريخ الإنساني

في كل الزيجات المذكورة في الكتاب المقدس لا نجد أية طقوس أو ممارسات دينية تتم أثناء حفلات الزواج ، فقط إجراءات مدنية كبركة أهل العروس لابنتهم ، وهذا ما يؤكد على مدنية الزواج في الكتاب المقدس ، واعتباره عرفاً اجتماعياً لا إجراءاً دينياً ، بل والأكثر من ذلك فإننا لم نجد في كتب العهد القديم أية إشارة لما يُسمى " عقد الزواج " حيث كان يُكتفى بموافقة الأهل من الجانبين ، ويخبرنا التاريخ أن الزواج هو نوع من الارتباط المدني بين الرجل والمرأة هذا الارتباط يخضع لتقاليد وأعراف المجتمع ، ويجد شرعيته ومصداقيته من اعتراف المجتمع به وبثمرته الإنجابية .

على جانب آخر لا نجد أن الزواج عرف طريقه إلى المؤسسة الكنسية حتى القرن الخامس الميلادي حيث بدأ البعض أثناء حفلات زفافهما بالمرور أمام دور العبادة ، وتطور الأمر بعد ذلك إلى طلب البركة من رجل الدين ، ومن ثم الدخول إلى الكنيسة للصلاة فيها لنوال مزيد من البركة ، فيما أصبحت هذه العادة بعد ذلك عُرفاً يُعرف بالزواج الكنسي ، وليس خافياً أن الكثير من حالات الزواج كانت تتم في المنازل وليس في الكنائس ، وعلى كلٍ لم يصبح الزواج سراً كنسياً إلا بمجئ القرن العاشر وعصور الظلام حتى يزيد ذلك من سلطة وقبضة رجال الدين على الشعب .

ولأول مرة أطلق في العالم الغربي تعبير أن الزواج من أسرار الكنيسة كان عام 1484 م ، وهكذا كتبت وثيقة رسمية ليصبح الزواج سراً بجانب المعمودية والعشاء الرباني وسر التوبة ، ومن ذلك الوقت صار كل زواج لا يتم بهذه الطريقة لاغياً من وجهة نظر الكنيسة ، وهذا سر رفض الكنيسة لأي زواج يُعقد خارجها واعتباره نوعاً من الزنى .

أما في الشرق وفي مصر بالذات فلم يختلف الأمر كثيراً ففي بداية القرن السادس بدأت الكنيسة تعلم عن أهمية الزواج داخل الكنيسة لكنها لم تجد أي قبول من العامة ، لكن دخول الإسلام مصر كان عاملاً على تعميق سلطان الكنيسة في أمر الزواج حيث ترك الحكام المسلمون للكنيسة سلطة الاهتمام بالمسيحيين .

هذا النهج الذي انتهجته الكنيسة أنتج الكثير من المشكلات التي لم تراع فيها الأبعاد الإنسانية والاجتماعية والقانونية.. ومنها كيف تتعامل الكنيسة مع المتزوجين مدنياً بدون أن ينطبق عليهم مفهوم " الزنى " ؟ .. هل ترفض الكنيسة أم توافق ؟ وهل ستقبل بعقد زواج الأبناء إذا أرادوا أن يتزوجوا كنسياً وليس مدنياً ؟ هل ستعتبرهم ضمن رعيتها وتقوم برعايتهم وإرشادهم روحياً أم ستتخلى عنهم عقاباً على ما فعله آباؤهم ؟ والسؤال الذي يطرح نفسه بقوة هو : من أقام الكنيسة قاضياً وديّاناً للبشر ؟ وإن كان البشر جميعاً عبيداً لله .

والسؤال المطروح الآن : هل يمكن أن يعود الزواج مدنياً كما كان ، وتنتهج الكنيسة خطى المسيح الذي سارت عليه لما يزيد عن أربعة عشر قرناً ، وتكتفي الكنيسة بالدور الروحي والتعليمي وتترك للقوانين الوضعية تنظيم الأمور الاجتماعية ، حتى وإن كانت سُنّة إلهية ؟ .